مقدمة الناشر

كانـت ثـورة ٢٣ يولـيو ١٩٥٢ ــ ولا تزال ــ أهم حدث فى التاريخ الحديث والمعاصر لمصر والأمة العربية ، وكان لها ــ ولا يـزال ــ أثر هائل فى مستقبل المنطقة بحكم الأخطار التى حملتها والمتغـيرات الـتى أحدثتها والأجيال والقوى الاجتماعية والسياسية التى لا تزال ترى فيها تجربة وفكرًا أو خلاصاً من الواقع المأساوى الذى تعيشه المنطقة الآن . وليس هناك شك في أن هذا الواقع الذى نعيشه الآن يستدعى فكر الثورة مجدداً ومتجدداً ، وأهم ما فيها تلك الإدارة الوطنـية المستقلة والصلبة التى امتلكها ثورة يوليو وثوارها والتى حققت بها الإنجازات الضخمة .

ونظـرة على الواقع المصرى والعربى والدولى قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وبعدها تؤكد حجم التحولات الهائلة والتغيرات العميقة التى أحدثـتها الثورة ، إذ أنهت الملكية ، وقضت على الإقطاع والقوى المسـتغلة والمسـيطرة علـى مقدرات الإنسان والوطن ، وطردت الأجنـبى وحققت الاستقلال ، وامتد تأثيرها عربياً لتتغير الخريطة السياسـية للوطن العربى وتحصل أقطاره على الاستقلال، وتنتشر دعـوة القومـية العربـية وتصبح الوحدة العربية تعبيراً عن رغبة الشعب العربى فى عودة الوضع الطبيعى لأمة مزقها أعداؤها ضد رغبتها ..

ليس هذا فحسب بل إن الاستعمار القديم قد انسحب تحت ضغط قوى الثورة العربية وانتهى عهد الاحتلال الأجنبى البغيض، وغابت الإمبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس .. كل هذا وذاك كان بفعل الإرادة الثورية وإرادة التغيير التى أمتلكتها الأمة العربية بقيام ثورة يوليو .

وبقـدر ما كانت الثورة تنتقل من إنجاز إلى إنجاز، ومن معركة إلى أخرى ، وبقدر ما كانت حركة الثورة مستمرة ، فإن من يعمل ويتحرك لابد وأن يتعرض لأخطار وانكسارات ، وكان من الطبيعى أن تجـتمع القوى المعادية لثورة يوليو وقائدها التاريخـى جمـال عـبد الناصـر وتتصيد الأخطاء ، وتدير المؤامرات إلى أن كانت هزيمة ١٩٦٧ التى أحدثت جرحاً عميقاً ودامياً وانكساراً فى مسيرة الثورة العربية وحركة التحرر الوطنى.

وظهـرت قـوى عـدة تحاول أن تثأر من الثورة ، وأن تلغى وجودها الفاعل على الأرض العربية ، ليس هذا وحسب بل حملت ثـورة يولـيو المسـئولية عن كل المصائب والكوارث التى حلّت بمصر وبوطننا العربى قبل التاريخ وبعده ، ولم تر فى ثورة يوليو إلا الأخطاء والانحرافات والهزائم ..

ومركز الحضارة العربية ، إذا يختلف اختلافاً واضحاً وبيناً مع مجمل الآراء والأفكار والأخطار التى ضمنها الصديق الكاتب كتابه هـذا ــ وهـى أفكـار نرى سهولة دحضها ومواجهتها فى حوار موضوعى ومع ذلك فقد صدر هذا الكتاب عن دار مركز الحضارة العربية وهى مؤسسة ثقافية مستقلة ذات رؤية عروبية وقومية .

الناشر

هذا الكتاب

تلك الحقبة من تاريخ مصر المعاصر ، التى تمتد من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ ، كان لها ، وسيظل لها ، أثر هائل فى أحوالها ومصير شعبها ، إلى قرون طويلة ستأتى . وقد تناولتها كتابات كثيرة ، البعض يمجدونها إلى حد التقديس، والبعض يقيمونها بمقاييس يسمونها سلبيات وإيجابيات ، ويعدون مآثرها وكبواتها، والبعض (ومن هؤلاء عدد من كبار مفكرى مصر وأدبائها ومؤرخيها) لا يرون فيها إلا كارثة ماحقة . مؤلف هذا الكتاب يرى ذلك أيضاً ، فقط ــ وبكل تأكيد ــ ليس لأن أصحاب هذه الأسماء الكبيرة يفعلون ، خصوصاً وأن منهم من يبغضون الثورة ــ كما تسمى(ومؤلفنا لا يراها ثورة بأى مقياس ولا بأى درجة) ــ من منطلق انتمائهم لأيديولوجية أو أخرى ، وهو ــ المؤلف ــ إن كان يبغض شيئاً فهو فكرة اعتناق الأيديولوجية ، مما يشير إليه فى هذا الكتاب . كما أنه يرى أن غالبية من يرون فيها كارثة قد عالجوا الأمر من مجرد زاوية أو أخرى ، كأن يركزوا على الإجراءات التعسفية كالاعتقال والتأميم والمصادرة والتعذيب والتنكيل أو على إهدار القيم ، وحكم الفرد ، مؤلفنا لا يرى فى هذا كله ــ على بشاعته التى لا تطاق ــ سوى نواتج جانبية للكارثة الأصلية وهى ، الوقوع فى شراك خديعة نصبتها قوى خارجية رأت فى نظام الحكم فى تلك الحقبة فرصة تفوق كل الخيال وتتجاوز كل الحدود ، فرصة لاستلاب مصر وانتهاب مواردها واستعباد أبنائها وبناتها وانتهاك حرماتها واستباحة كل ما فيها وكل ما يأتى منها وينتج عنها . ولم يكن خارج مصر فرد واحد لا يعرف أن الصراع العسكرى مع إسرائيل لن يفيد منه إلا إسرائيل،

وليس القصد من ذلك مجرد الكشف عما وقع وعمن هو مسؤول، فهـذه أمور منتهى منها ، بل القصد هو أن يدرك أبناء بلدنا الذين دفعوا هذا الثمن الفادح من دمهم ومالهم وأبنائهم وبناتهم وكرامتهم ونفوسـهم ، أن يدركوا أن الداء لا يشفى إلا إذا عرفت الجرثومة الـتى أحدثـته وإلى أى حد تفشت فى دمائنا وأوصالنا ومدى ما أحدثته من تلف فى جسومنا وعقولنا ونفوسنا . وبكل تأكيد ، نحن الآن فى أول الطريق إلى ذلك، حكامنا سياسيون إداريون يؤمنون بالعمل الجاد من أجل المستقبل ، العسكريـون قـادة محترفـون (١٩٧٣)، السـفراء دبلوماسيون يدركون حقائق العالم المحيط بنا (طابا)، مصر الآن عضو عامل وصالح فى المجتمع الدولى ، هذه الصورة المبشرة بالخير لا تكتمل إلا بإدراك الحقائق ، والحاضر والمسـتقبل ليسا سوى نتاج حلقات الماضى ، الماضى ليس أموراً طواها الزمن، إنه يكمن فى أعماق كل منا ، ويتمثل فى كل قطرة ماء حولنا وكل نفحة هواء تحتوينا وتستنشقها صدورنا ... والذى يعطى لهذا الإدراك مزيداً من الأهمية ، هو ــ فيما يتصور مؤلف هذا الكتاب، إن ما لحق بمصر من الأذى، وما أصابها من التلف، أكبر وأعمق بكثير، من قدرتنا على إدراكه أو تصوره، ولعل هذا يـرجع إلـى سطوة وسائل الإعلام فى عصر التليفزيون ، وإلى استغلال الكفاءات الفنية التى كانت باقية من عصور سابقة لم تكن ــ على مساوئها ــ على هذا القدر من النزعة إلى إخماد الأنفاس وكبت الضمائر . وهكذا فإن فداحة الكارثة قد طغت على قدرتنا ــ وأيضاً على رغبتنا فى تصورها.